دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	تاريخ علم التخدير والإنعاش عند العرب
المصدر:	العرب
الناشر:	دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع
المؤلف الرئيسي:	قرنوب، يوسف سليم
المجلد/العدد:	مج51, ع1,2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2015
الشهر:	يونيو
الصفحات:	48 - 60
رقم MD:	964445
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الحضارة العربية، الطب عند العرب، علم التخدير، علم الإنعاش، الصناعات الطبية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/964445

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

تاريخ علم التخدير والإنعاش عند العرب

بقلم: د. يوسف سليم قرنوب*

تشير المصادر التاريخية أنّ (هوارس ويلز) كان أول من بدأ فنّ التخدير الحديث في العام ١٨٤٤م، حيث استعمل غاز أكسيد الآزوت في تخدير شخص لخلع سنّه دونما ألم، تلاه بعد سنتين استعمال مادة (الإيثر) من قبل (ويليام مورتون) وأعقبه بعد سنة أيضًا استخدام (الكلوروفورم) من قبل (سمبسون).

أمّا في التاريخ القديم فإنّ المصادر تشير إلى لجوء الرومان واليونان للسحر والشعوذة أو التبريد أو استعمال بعض المشروبات المسكرة لتخفيف الألم.

وبين العصر القديم والحديث تقع فترة (العصر الوسيط) (MEDIVAL) وهي فترة تميّزت في أوربا بالقحط الفكري والحضاري؛ ولذا سُمِّيَت بـ(عصر الظلام) (DARK AGE)... وفي هذه الفترة بالذات كانت الحضارة العربية-الإسلامية في أوج ازدهارها.

العرب والجراحة:

تشير الكتب العربية التراثية إلى تطوّر فنّ الجراحة في الدولة العربية الإسلامية... كما في كتاب أبي القاسم الزهراوي "**التصريف لمن عجز عن التأليف**" وكتاب "**كامل الصناعة الطبية**" لعليّ بن العبّاس، وغيرها من الكتب التراثية القيّمة.

ونقرأ في تلك الكتب وصفًا لعمليات جراحية مختلفة وأدوات جراحية غاية في التنوّع والتخصص؛ فقد وصف الزهراوي[1] مثلاً استئصال اللحميات الأنفية بالسنارة واستخراج الحصاة البولية عن طريق الإحليل وإزالة عظم الرضفة (صابونة الركبة) في حال إصابته الشديدة... ووصف ابن سينا في كتابه الشهير "**القانون**" كيفية التعامل مع أورام الرحم بالاستئصال أو الكيّ، كما وصف عليّ بن العبّاس[2] استئصال العقد اللمفية المتضخّمة من الرقبة، وهو ما كان يُسمَّى بالخنازير، ونسرد هنا فصلاً من كتابه "**كامل الصناعة الطبية**" يشرح كيفية استئصال اللوزتين:

«ورم اللوزتين إن عظم وطالت مدته وصار البلع معه صعبًا، ولم تنجح فيه الأدوية والغرغرة ينبغي أن يقطع، ويكون ذلك بأن يقعد العليل بين يديك مقابل الشمس ويفتح فاه ويقوم الخادم بإمساك رأسه إلى الخلف ويكبس خادم آخر اللسان إلى أسفل بالآلة الخاصة لذلك... ثم تأخذ سنارة وتغرزها في إحدى اللوزتين وتشدّها إلى الخارج ثم تقطعها من أصلها بالآلة المناسبة وبعدها تنتقل إلى الثانية... وإن حدث نزف تغرغر العليل بماء السماق».

وحـول الأورام يقـول الزهـراوي: «إذا كـان الـورم سـليمًا يعـالج بالاستئصال؛ وأمّا الأورام الخبيثة فلا فائدة من علاجها إن كانت متقرّحة أو تقادم بها الزمن، لكن إن كان السرطان حديث العهد فلا بأس من استئصاله».

أمّا عليّ بن العبّاس فيقول عن السرطان: «هو مرض لم يفلح فيه الطب إلا نادرًا... ولذا عليك أن تقلع الورم من جذوره فلا تبقى منه أية رواسب».

العرب والتخدير:

إنّ قيام الأطباء العرب بأمثال هذه الجراحات لا يعقل أن يكون بدون تخدير... وهناك عدد من المستحضرات العشبية استخدمت لهذه الغاية مثل:

١- اللفاح أو اليبروج... وهو نبات غليظ الجذر له ساقين يشبه شكل جسم الإنسان واسمه باللاتينية (مانداغورا) وله فعل مهدئ ومنوّم... يقول شيخ الأطباء (ابن سينا)[٣]: من تقرر أن يقطع له عضو يسقى من (اليبروج).

٢- الخشخاش... وكان ينعت بـ(أبي النوم) بسبب فعله المخدّر.

٣- البنج... وهو نبات من الفصيلة الباذنجانية معروف بخواصه المخدّرة.

٤- القنب الهندي أو الحشيش... وقد دعيت بالـ(طمحاء) أو (المريحة) إشارةً إلى فعلها المخدّر.

٥- ست الحسْن، وهي ذات تأثير قوي؛ ولذا دعيت (عرق الفنا).

تقول المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه) في كتابها الشهير "**شمس الله تسطع على الغرب**":

«...كان التخدير عند العرب فريدًا من نوعه، وعلى خلاف المشروبات المسكرة التي كان الهنود واليونان يقسرون مرضاهم على تناولها لتخفيف الألم فإنّ العرب استعملوا الإسفنجة المخدِّرة: وهي أن تغمس الإسفنجة في مزيج من الحشيش والأفيون وست الحسن والزؤان ثم تجفّف في الشمس وعند الاستعمال ترطّب ثانيةً وتوضع على أنف المريض فتمتص المواد المخدّرة وتؤدّي للنوم وتحرر المريض من أوجاع العملية...».

هل استعمل العرب الإيثر؟؟

لقد ذكرنا في المقدمة أنّ استعمال الإيثر كغاز مخدِّر قد بدأ عام ١٨٤٦ ولكن اكتشافه هذه المادة يعود إلى تاريخ سبق ينسبه البعض إلى العالم (كوردوس) والبعض الآخر إلى (باراسيليوس).

إنّ الإيثر ينجم عن تفاعل وتقطير الكحول مع حمض الكبريت ولقد عرف العرب حمض الكبريت واستخدموه وكان يسمّى لديهم (زيت الزاج) وهو اكتشاف ينسب للرَّازي[٤] كما عرفوا أيضًا الكحول واستخدموه، وهذا يفترض أنهم قاموا بإجراء تفاعلات بين الاثنين مما يؤدّي لتركيب الإيثر.

والحقيقة أنّ للكحول قصة غريبة، فإنّ وجود هذه الكلمة في المعاجم الغربية مبتدئةً بالألِف واللام (الكوهول) (ALCOHOL) يُعدّ أمرًا غريبًا.

لقد نقل الغربيون (حينما ترجموا الكتب العربية) الكثير من المصطلحات كما هي معرَّفةً بالألِف واللام مثل: الامبيق (ALIMBIQUE) والإكسير (ALIXIR) والكيمياء (ALCHIMIE) والجبر (ALGEBRE)... لكن كلمة (الكحول) تختلف، فهي غريبة عن العربية كما هي غريبة عن اللاتينية... فمن أين يا ترى جاءت هذه الكلمة؟؟

مصدر كلمة (الكحول):

تقول أمهات المعاجم العربية بأنّ الكلمات القريبة من (الكحول) هي:

١- الكحل... وهو ما يوضع على العين للاستشفاء؛ ولذا يعرف طبيب العيون بالـ(كحّال).

٢- كما تطلق كلمة (الكحل) على شدة المحل ومنه قول الشاعر:

لسنا كأقوامٍ إذا كحلت إحدى السنين فجارهم تمرُ

أي يأكلون جارهم كما يؤكل التمر.

٣- و(كحلة) من أسماء السماء.

٤- و(الكحيل) هو المادة التي تطلى بها الإبل للجرب.

في كتاب بعنوان "**صانعو الكيمياء**" حاول العالم الانجليزي (هوليارد) استقصاء مصدر الكلمة فقال:

«لقد كان باراسيليوس أول من أطلق تسمية الكوهول على روح النبيذ في عام ١٤٩٣م.

وقد أخذ هذه الكلمة من: الكحل وهو مسحوق ناعم تستعمله نساء الشرق للعيون، وقد استنبط الرجل أنّ الكحل هو "الخلاصة" أو "أدق جزء" من الشيء فأطلق تعبير "كحل النبيذ" على المادة الرئيسة فيه، وكتب الكلمة باللاتينية: الكحل = الكوهول».

وترجمت للعربية ثانية: الكوهول = الكحول

لكن هذا الاستنباط في الحقيقة لا يتناسب مع قواعد اللغة حيث إنه لا وجود في المعجم لمعنى أنّ الكحل هو خلاصة الشيء أو أدق ما فيه... وجلّ ما درج على لسان العرب قولهم: شيء ناعم كالكحل.

من جهة أخرى فإنّ باراسيليوس نفسه لم يذكر هذه القصة في مؤلفاته ثم ما الذي يجعله يطلق على مادة اكتشفها تسمية مشتقّة من كلمة أجنبية؟؟

إنّ أكثر الآراء منطقية أن تكون كلمة (الكحول) أو (الكوهول) منقولة مباشرةً من اللغة العربية، وذلك من كلمة (الغَول).

والغَولْ هو كل ما يذهب بالعقل من مسكرات وغيرها... وذلك يستنتج من الوصف القرآني لخمر الجنة: (لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ)... وفي موضع آخر: (لاَّ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ)، أي لا يصيبهم منها صداع ولا تذهب بعقولهم... وقديمًا قال الشاعر:

ومازالت الخمر تغتالنا وتذهب بالأوّلِ الأوّلِ

وهكذا نقل الغربيون كلمة الغول إلى الكول=الكوهول، ثم عاد العرب فنقلوها إلى لغتهم محرّفة الكوهول=الكحول، وهذا التحريف قد حصل مرارًا؛ فقد ذكر الأديب الدكتور عبد السلام العجيلي أنّ قبيلة (العفادلة) التي تعيش في البادية السورية نقلت إلى اللغات الغربية باسم (أفادلة) (AFADILA)، ثم نقلت ثانية إلى العربية محرّفة باسم (أفاضلة). لكن إن كانت كلمة (كحول) ذات أصل عربي فهل قام العرب بتحضير الكحول؟

العرب والتقطير:

قولاً واحدًا: نعم... وهناك عالمان بحثا في ذلك:

الأول: جابر بن حيّان[٥] حيث ذكر في معرض حديثه عن خواص العناصر أنّ "النار تشتعل في رؤوس القوارير الحاوية على النبيذ".

والثاني: يعقوب ابن إسحق الكندي، صاحب كتاب "**كيمياء العطر والتصعيدات**"، الذي تحدّث بإسهاب عن صنعة "التصعيد بالرطوبة" وشرح جهاز التصعيد وكيفية استقطار مواد كثيرة مثل الكافور وماء الآس وماء الزعفران والمسك والقرنفل والقِرفة... ومن المرجّح أنه قد استقطر الكحول أيضًا.

العرب وعلم الإنعاش:

منذ القديم عرف الإنسان أنّ الهواء ضروري للحياة، وأنه في حالات معيّنة يصعب على الإنسان سحب الهواء إلى رئتيه، وهنا لابد من وسيلة مساعدة؛ لذلك أقدم الوثائق في ذلك رسوم على المعابد المصرية القديمة تمثّل التنفس الاصطناعي سواءً من الفم للفم أو بوسائل بسيطة.

في عام ١٧٦٩ قامت في أمستردام (جمعية إنعاش الغرقى)، وقد ابتدأت الجمعية بإجراءات غريبة مثل الإنعاش بالتدحرج فوق برميل فارغ! كما حاول البعض دفع الهواء من أيّ فتحة في الجسم ظنًّا بأنه سوف يفيد المريض! ... وبعد هذه البدايات الغريبة نجحت الجمعية في ابتكار منفاخ لإدخال الهواء في الرئتين، تلتها بعد سنتين في انجلترا (الجمعية الملكية الإنسانية)، فمؤسسة (جون هنتر) عام ١٧٧٦م والذي صمّم منفاخًا ذا مجريين: أحدهما للشهيق والآخر للزفير...، وكان هنتر هذا مولعًا باستلام من نفّذ فيهم حكم الإعدام شنقًا حيث يمضي بهم مكتبه ويسهر على محاولة إنعاشهم... وقد سجّل تاريخ الكلية الملكية للجرّاحين أنّ هنتر قد نجح مرةً واحدة في هذا حيث تماثل الشخص للشفاء ونزح إلى أستراليا.

ماذا كان الوضع بالنسبة للعرب؟؟

هناك قصة طريفة تشير إلى مهارة العرب في إنعاش من قارب على الموت، وهذه قصة يرويها (ابن أبي أصيبعة) في كتابه الشهير "**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**" عن إنعاش إبراهيم ابن عمّ الرشيد، وقصة أخرى ذكرها ابن حجة الحموي في كتابه "**ثمرات الأوراق**".

قصة إنعاش إبراهيم (ابن عمّ الرشيد):

يقول الكاتب: إنّ الرشيد كان لا يأكل إلا بوجود طبيبه الخاص (جبرائيل بن بختيشوع). وفي أحد الأيام تأخّر الطبيب عن الحضور وقد سأله الرشيد عن السبب فقال بأنه كان مشغولاً بعلاج ابن عمّه إبراهيم،

وأنه مشرف على الموت... وهنا تدخّل جعفر بن يحيى وطلب من أمير المؤمنين أن يستشير (صالح بن بهلة) العالم بالتراث الطبي الهندي.

ذهب صالح إلى إبراهيم وفحصه ثم عاد ليعطي أمير المؤمنين تقريرًا بأنّ ابن عمّه بحالة جيّدة وأقسم على ذلك... لكن عند الغروب جاء الخبر بوفاة إبراهيم فبدأ الرشيد يكيل اللوم لصالح على ما بدر منه، لكن صالحًا قال للرشيد: الله الله يا أمير المؤمنين أن تدفن ابن عمّك حيًّا!! فوالله ما مات فأطلق لي الدخول عليه لوحدي ثانيةً فأذن له بذلك.

بعد قليل خرج صالح وطلب من الرشيد الدخول... ثم أخرج إبرةً فغرزها تحت ظفر الإبهام فجذب "الميّت" يده إلى بدنه فقال صالح: يا أمير المؤمنين هل يحسّ الميّت بالوجع؟؟ فقال الرشيد: لا، فقال صالح: لو شئت يا أمير المؤمنين أن يكلّمك الساعة لكان ذلك ولكن أخشى أن يفيق وهو في الكفن فيموت لهول المنظر.

عندئذ أمر الرشيد بتجريد الرجل من أكفانه ووضعه في سريره.

ويتابع أبو سلمة راوي القصة: فأتى صالح بكندس ومنفخة من الخزانة ونفخ في أنف إبراهيم مقدار ثلث ساعة اضطرب بعدها بدنه وعطس وجلس أمام الرشيد فسأله عمّا حلّ به فقال إبراهيم إنه كان نائمًا، ورأى في منامه كلبًا قد أهوى إليه فتلقّاه بيده فعضّ إبهام يده اليسرى.

وعاش إبراهيم بعد ذلك دهرًا... وتزوج العباسة بنت المهدي وولي مصر وفلسطين.

قصة ابن حجّة الحموي:

كان (ابن جميع) من الأطباء المشهورين وقد كان له حظوة عند سلطان مصر صلاح الدين يوسف بن أيوب...، قد روي عنه أنه كان جالسًا في دكّان فمرّت أمامه جنازة فلمّا نظر إليها صاح بأهل الميّت: إنّ صاحبكم لم يمتْ ولا يحلّ أن تدفنوه حيًّا... فاستدعوه وقالوا: بيّن لنا ما قلت، فأمرهم بأن يرجعوا للبيت وينزعوا عنه الأكفان، ثم سكب عليه الماء الحار ونطله حتى تحسّن.

ولّما سئل: من أين علمت أنّ في ذلك الميّت بقية من روح وهو في الأكفان محمول؟ قال: نظرت إلى قدميه فوجدتهما قائمتين وأقدام الموتى منبسطة فحدست أنه حيّ وكان حدسي صائبًا.

ماذا نستنتج من القصتين السابقتين؟

١- أنّ الطبيب العربي كان خبيرًا بالعلامات اليقينية للموت، ويعتمد على الملاحظة الدقيقة والفحص عندما يواجه حالة ملتبّسة كما في ملاحظته انعطاف القدمين وتحرّي حسّ الألم بواسطة الإبرة.

٢- أنّ الطبيب العربي لم يفته الاهتمام بالتأثير النفسي للحالة على المريض الذي يحتضر؛ لذا جرّده من الأكفان ومظاهر الموت قبل أن يقوم بالتحرّي والعلاج.

٣- أنّ الطبيب قد استعمل **المنفاخ** في الإنعاش.

٤- أنّ الطبيب قد استعمل علاجات منبّهة للقلب والتنفس مثل (الكندس)، وهو نوع من العطوس المنبّهة للتنفّس، قام بدفعه بالمنفاخ أو

-في القصة الثانية- طبخ الأدوية مع الماء ثم سكبها من كوز على الجسم (وهو ما يُسمَّى بالنطل).

هامش: التعريف بالأطباء العرب الذين ورد ذِكرهم في متن البحث:

١- الزهراوي (٩٣٠-١٠١٣م)... أشهر الجرّاحين على الإطلاق وصاحب كتاب "**التصريف لمن عجز عن التأليف**" والذي يحوي قسمًا طبيًّا وآخر صيدلانيًّا وثالث يفصّل في الجراحة... وكان تفوّق الزهراوي في مجال الجراحة مثل تفوّق ابن سينا في مجال الطب الباطني، وينسب للزهراوي ابتكار الخيوط الجراحية المصنوعة من أمعاء المواشي؛ ولذا فإنّ كتابه المترجم للفرنسية عرف في أوربا باسم "**جراحة أبي القاسم**"، وقال عنه المستشرق إدوارد براون: إنه أعظم جرّاح عرفته البشرية.

٢- علي بن العباس الأهوازي (توفي عام ٩٤٤م) صاحب الكتاب المشهور: "**كامل الصناعة الطبية**" والمعروف أيضًا باسم: "**الكتاب الملكي**"؛ وقد بحث أيضًا في الطب الوقائي، وكان حريصًا على أصول وأخلاقيات مهنة الطب حيث أشار أنّ الطبيب (يجب أن يكون طاهرًا زكيًّا دَيِّنًا... رقيق اللسان محمود الطريقة لا يفشي للمريض سرًّا... يجتهد في مداواة المرضى ويتفقد أحوالهم... كثير القراءة والتعلّم... ملازمًا للحذقة من الأطباء).

٣- ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٤م)... الحسين بن عبدالله بن حسن بن علي بن سينا صاحب الكتاب المشهور "**القانون في الطب**" والذي ظل يدرّس في جامعات أوربا خمسة قرون، وأعيدت ترجمته إلى اللغة الانجليزية عام

١٩٣٠ مما يشير إلى الأهمية المتجددة لهذا الكتاب... وقد لقّب ابن سينا بـ(الشيخ الرئيس) إشارةً لتفوّقه في مهنة الطب.

٤- الرازي (٨٥٠-٩٣٢م) أبو بكر محمد بن زكريا صاحب كتاب "الحاوي" والملقّب بجالينوس العرب... وينسب له اكتشاف زيت الزاج (حمض الكبريت) والغول (الكحول)، كما أنّ له ابتكارًا فريدًا، وهو خياطة الجروح الواسعة في البطن باستعمال أوتار العود.

٥- جابر بن حيّان (٧٢١-٨١٥م)... أشهر علماء الكيمياء وقد بحث في الطرق المختلفة للتقطير (التصعيد- التكثيف- الترشيح) كما اكتشف طريقة إذابة الذهب باستعمال حمض كلور الماء (ودعاه بالماء الملكي لقدرته على إذابة ملك المعادن: الذهب... ولذا أطلق الأوربيون على الكيمياء مسمّى (علم جابر).

❖ اختصاصي بالطب الباطني، مستشفى الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز للطب الرياضي- الرياض.

مراجع البحث:

١- كامل الصناعة الطبية... لعلي بن العباس.
٢- التصريف لمن عجز عن التأليف... لأبي القاسم خلف الزهراوي.
٣- القانون.. لابن سينا.
٤- عيون الأنباء في طبقات الأطباء... لابن أبي أصيبعة.

٥- ثمرات الأوراق... لابن حجة الحموي.
٦- شمس الله تسطع على الغرب... لزيغريد هونكة.
٧- صانعوا الكيمياء... لهولميارد.
٨- القاموس المحيط ومختار الصحاح.
٩- تاريخ الطب وآدابه وأعلامه... للدكتور أحمد شوكت الشطي/جامعة دمشق.
١٠- محاضرات في علم التخدير والإنعاش.... للدكتور محمد طه الجاسر/جامعة حلب
١١- MEDICINE - an illustrated history… ALBERT .S. LYONS & R. JOSEPH. PETRUCELLI.